أي أنه يدعو إلى أهمية القيم الأخلاقية وضرورتها ، ولا سيما في الدين الإلهي ، فهي كفيلة بإحلال العلاقات الإنسانية الأخوية بدلا من علاقات العداء المستحكمة التي ستؤدي إلى انفجار العالم كله على أثر الاصطدام في حرب هيدروجينية ، التي لو قامت " فإنه يتوقع أن كل فرد على ظهر نصف الكرة الشمالي سيفنى عمليا ، كما أن عددا كبيرا جدا من البشر ممن هو على ظهر نصف الكرة الجنوبي سيلقى حتفه بفعل الغبار الذري"(١٤)

[٢] وهاهو عالم آخر ، هو " **جوزيف وودكرتس** " : أخذ يشرح لنا التغييرات العنيفة التي حدثت في مجال البحث العلمي في الطبيعة والإنسان؛ لأن زحف سيطرة علماء الطبيعة على ميادين البحث في الغرب بمناهجهم التجريبية ظل يسير قدما ليضم إلى حوزته علوما تلو الأخرى ، ولكن رايات النصر التي كان العلماء يرفعونها في كل خطوة يخطونها إلى الأمام سرعان ما نكست عند معرفة الحقيقة الفاجعة وهي : أن الإنسان لا يخضع للتجربة المعملية كغيره من الكائنات ، وفي هذا الصدد يقول **جوزيف** : " وفي الحقيقة فإن العملية التي رد بها الإنسان إلى تفاهته الحالية إنما أنجزت بسرور بالغ ، وكان الناس يهللون لكل بارقة تشير إلى أن الروح فانية كما يهللون لاختراع آلة جديدة ، لقد أعلن "**هكسلي** " وكأنه يلقي بالبشرى : أنه سيكون في وسعنا في المستقبل أن نحصل على أفضل المعلومات عن طبيعة تكويننا بالدراسة في حديقة الحيوان " (١٥)

(١٤) المرجع السابق ص١٧٥-١٧٦ .
(١٥) الإنسان الحديث دراسة في مزاجه وقضاياه ــ جوزيف وودكرتس ــ ترجمة بكر عباس ص٢١٩ ــ دار الكتاب العربي ١٩٦٥م .

ثم يسجل هذه الحقيقة المثيرة للدهشة حقا وخلاصتها أن : " أسس اليأس أرسيت في العصر الحديث على أيدي أناس كانوا موقنين بأنهم يخدمون الإنسانية ، ووسط هتافات النصر صبت سلاسل القيود التي تشدنا إلى الأرض بأوثق مما نريد . " (١٦)

فإن الحضارة المادية قد فقدت نغمة النصر التي امتازت بها في مراحلها الأولى ، وتوقفت عن التغلغل في اجتياح مناطق كان يدعي من قبل أنه في إمكانه السيطرة عليها " حتى إن دعاة مذهب " فرويد " وهو أقوى المحاولات التي أجريت في الآونة الأخيرة لتجريد الإنسان مما بقي له من مزق الكرامة وأبعدها أثرا ، أخذوا ينادون بنظرياتهم مع شيء من الاعتذار " (١٧)

ويميل هذا الرأي إلى تصوير الحالة المتردية التي وصل إليها الإنسان بسبب تصوير **فرويد** للإنسان وكأن لا هم له إلا إشباع غرائزه الجنسية ، وإرجاع كل ألوان سلوكه إلى هذه الغريزة ، فأصبح الإنسان في تفسير الفرويديين أحط شأنا من الحيوان ؛ لأنه أنكر القيم ، ثم يقول " ولعل **وليم جيمس** وإرادة الإيمان ، و**هنري برجسون** وحدسه كانا البادئين بالتطورات التالية ؛ لأن كلا منهما جعل همه أن يثبت على الأقل احتمال وجود منفذ تستطيع الروح أن تفر منه . " (١٨)

هذا فيما يتعلق بالنظرة العلمية ، أما عن النظام الاقتصادي الذي يقبع على قمته شعار التقدم ، فإنه أيضا لا يخلو من نقد مرير من واقع النظرة

(١٦) المرجع السابق ص٢١٩ .
(١٧) المرجع السابق ص٢١٩ .
(١٨) المرجع السابق ص٢٢١ .

الإنسانية التي ترتفع بالإنسان من مجرد مستهلك يسعى بطريقة محمومة نحو الاستزادة من السلع ، إلى الإنسان الذي يرتفع بالقيم إلى المستوى اللائق به .

ويصف " **جارودي** " هذا التنافس المحموم بقوله : " لكن المعركة الأساسية الحيوية في عصرنا يجب أن توجه إلى أسطورة التقدم الانتحارية ، وإلى الطريقة الغربية في التنمية ، إنها الأيدلوجية التي تميزها تلك القطيعة بين العلوم والتقنيات من طرف ، وبين تحكيم العقل من طرف آخر ، وعلاج ذلك بتنظيم العلاقة بين الوسائل والقدرات ، وبالتفكير في أهداف حياتنا ومعناها . " (١٩)

[٣] ويضيف " **أرنولد توينبي** " إلى ذلك كله قوله : " إن صفة التعصب الذي بدأ مقترنا الغربية ، وكان سبب الحروب الدينية بين الكاثوليكيين والبروتستانتيين ، ثم انتقل إلى مجال الأيديولوجيات الغربية اللاحقة للمسيحية ، وهي القومية أولا ، ثم الشيوعية ، قد أصبحت الآن أكبر خطر يهدد بناء الجنس البشري "

وينتهي إلى القول : بأنها ستصبح كارثة على البشرية جمعاء أن تقتبس البلاد غير الغربية هذه الأيديولوجيات الغربية بحذافيرها . " (٢٠)

ثم يقرر **توينبي** : " أنه من سوء حظ الجنس البشري كله ــ وضمنه الغرب ذاته ــ أن يتجه الجزء غير الغربي من العالم إلى قبول المدنية الغربية بكل عناصرها دون تمييز ، ودون تفرقة بين ما هو نافع منها ، وما هو ضار منها ؛ لأن هذه المدنية شأنها شأن أية مدنية أخرى . " (٢١)

---

(١٩) نقلا عن " ما بعد به الإسلام " ص٤٠ .
(٢٠) محاضرات توينبي ص٤٤-٤٦ بتصرف .
(٢١) المرجع السابق ص٣٧ .

ثم يقول عن التكنولوجيا الحضارية السائدة في الغرب : " ولكنه يأسف لأن هذه التكنولوجيا تحولت إلى وسيلة للتدمير ، حيث نجحت في إنتاج القنبلة الذرية واستخدامها ، مما يدل على افتقار الشعور بالمسئولية من وجهة النظر الاجتماعية والأخلاقية حيث ارتكب الغرب خطا شديد الخطورة أدى إلى تهديد مستقبل الجنس البشري كله بالخطر . " (٢٢)

ثم يقول عن النزعة الفردية الغربية : " إن النزعة الفردية قد ذهبت في الغرب إلى أبعد مما ينبغي ، وزعزعت فكرة الالتزام برعاية المسنين ، ووصلت إلى حد عدم الاكتراث بهم ، أي الحد الأخلاقي المتطرف ؛ ولذلك ظهرت الفجوات بين الأجيال بافتقاد الرباط الأسري واستفحال ظاهرة عقوق الوالدين ، والمسنين بوجه عام . " (٢٣)

وعن نظام الأسرة في الحضارة المادية وتفككها وانهيارها نستشهد بأقوالهم ، وكفى بهم شهداء على أنفسهم : يقول الاتحاد الأمريكي للخدمات الأسرية : " أصبح انهيار الأسرة والذي وصل الآن إلى درجة وبائية ، المشكلة الاجتماعية الأولى ، فكل عام يفصل الطلاق بين أكثر من مليون شخص ، وأن المعدل الحالي هو سبعة أضعاف ــ أو يزيد ــ ما كان عليه ، وأصبح عدد الأطفال غير الشرعيين ثلاثة أضعاف ما كان سنة ١٩٣٨م ، ويولد سنويا ربع مليون طفل غير شرعي في الولايات المتحدة وحدها، أما مشكلة جنوح الأحداث ، والتي ترتبط بمشكلة الطلاق ارتباطا وثيقا بدورها ثلاث مرات عما كانت في إحصائيات عام ١٩٤٠م.

---

(٢٢) المرجع السابق ص٣٩-٤٠ .

(٢٣) المرجع السابق ص٤٣ ، نقلا من : الصحوة الإسلامية عودة إلى الذات ــ د٠مصطفى حلمي ص٨٧،٩٦ بتصرف .

وتقول **مجلة لايف** : ضربت نسبة الطلاق في الولايات المتحدة رقما قياسيا ، فكلما دار عقرب الساعة ٩٠ثانية هوى بيت أمريكي ، وفي كل يوم كان القضاء الأمريكي يمنح ألف حكم طلاق .

وأصدرت أخيرا **جارد ترتل أرمستربونج** كتيبا ينقد واقع الحضارة المادية، وجاء فيه : هل تعلم أن أغلبية جرائم القتل لا يرتكبها مجرمون محترفون ، ولا علاقة لها باللصوصية ؟

وهل تعلم أنه ورد في تقرير لمكتب التحقيقات الفيدرالية أن نسبة جرائم القتل في نطاق الأسرة هي حالات قتل الزوج لزوجته ؟

وأن ١٥% أو يزيد من جرائم الأسرة هي حالات قتل أبويه لأبنائهم ؟

كما قد كشفت الدراسات الأخيرة التي قام بها مندوبون من مختلف أنحاء العالم عن بعض الحقائق ، ففي لندن ــ مثلا ــ تجد نسبة كبيرة من الأزواج الذين يظن أنهم سعداء مستعدون أن يبادلون شركاء حياتهم بآخرين ، ولا يملك الإنسان إلا أن يتساءل ويقول : ما الذي جعل الزواج نكدا ؟

والإجابة عن التساؤل تبدو من واقع الدراسات ، فقد وجد أن ٩٠% من حالات الطلاق كان أصحابها غارقين في الديون إلى آذانهم ، وأن ٤٠% أو يزيد من زيجات المراهقين كانت قسرية ونتيجة لحدوث حمل قبل الزواج ، وهذه الدراسات تجلي أن المرأة أو الفتاة في ظل الحضارة المادية لم تهتم بالفضيلة والشرف .

ثم يمضي **أرمستربونج** في تشخيص مشاكل المجتمع الأمريكي فيقول : لعله يحرجك أن تعترف بأنك تعيش في عالم جنونه الجنس ، وما جناه الغرب من تفش الانحلال والجنس بين أبنائه ، فشكل الحياة في كافة

مناحيها الغربية ، وذهبت الحياة الأسرية في أمريكا مع الريح ، ولقد ابتعدنا عن الحياة الأسرية السوية وفسد جونا الأخلاقي ، واتبعنا فلسفة الإباحية ، إنها الحقيقة المفزعة أن يكون لدينا أعلى مستوى معيشي في العالم ، وأعلى معدل للجريمة وجنوح الأحداث والطلاق .

والأخطر من ذلك أنه قد بدأت تظهر في الغرب وتنتشر بين أبنائه أمراض وأوجاع لم يعرفها الطب إلا حديثا كمرض الإيدز ، الذي نشأ من ممارسة الشذوذ والجنس وغيره . (٢٤)

فالمرأة في ظل الحضارة المادية : لا تعرف الحشمة والوقار والحياء ، لقد كشفت عن ذراعيها وساقيها وعن صدرها ونهديها ، وعن ساقيها وفخذيها، ولبست " الميني جيب " خارج المنزل ، و " البكيني " على شواطئ الاستحمام ، ولا ترى في الخلوة والاختلاط أي عيب ، ولا يرى الآباء عيبا في ذلك ، بل ولا يستطيع قانون الحضارة المادية أن يمنع هذا، وفي هذا يقول **ليوبولد فايس (محمد أسد)**: " إن العفاف والإحصان يصبحان مع الأيام خيرا ماضيا في الغرب الحديث ، وأدى السفور والعري والاختلاط إلى انعدام حياء العذارى في المجتمع الغربي ، والمهانة التي وصلت إليها الفتاة والمرأة في الغرب هو والبهيمة الحيوانية سواء .

وقد أباحت الحضارة المادية أن تمارس البغاء في صور شتى : وقد أشاع أمر البغاء كصناعة رأسمالية في الدول الغربية اليوم ، فتقام المواخير ، وتعرض المحترفات للبغاء أنفسهن في أماكن مكشوفة منها للمارة والزائرين ، وأباح القانون الإنجليزي البغاء حتى سن الثانية

(٢٤) نظريات الغرب وحضارته في ميزان الإسلام ــ ماهر خليل ص٩٥-٩٩ بتصرف .

عشرة، وفي هذا يحدثنا **سير هوارد فينسنت** مدير الأبحاث الجنائية بلندن في تقرير له: " هناك منازل في لندن وفي أجزاء كثيرة منها حيث نجد أناسا مستعدين لإحضار فتيات لغرض البغاء بدون أدنى صعوبة تذكر .... وهذا البغاء يحدث بلا شك بعلم وموافقة الأمهات لغرض الربح والمعاونة في نفقات المعيشية الاجتماعية . "

وبهذا أصبح البغاء أحد ملامح النهضة الحضارية المادية الحديثة ، وبدت الحضارة المادية المزعومة أكذوبة كبرى حيث ادعت كرامة المرأة الغربية ، وواقع الحضارة الغربية يشهد بذلها وإهدار كرامتها وجعلها هي والبهيمة الحيوانية سواء بسواء ، وادعت تحرير المرأة فأدى هذا إلى الاستعباد في براثن الجنوح والتحلل والإباحية ، ومستنقع الرذائل والفواحش ، ووصلت إلى أحط دركات الإنسانية ، بل إلى أحط دركات الحيوانية .

فهل يكف أدعياء الإصلاح ممن انخدعوا ببريق الحضارة المادية الزائفة عن ضلالهم وتضليلهم ؟!! [٢٥]

وفي هذا الشأن تحدثنا الكاتبة الفرنسية " **فرانسوازساجان** "والتي اشتهرت في كتاباتها بالأدب المكشوف ، قائلة : " من خلال نظرتي لتجارب الغالبية العظمى من النساء أقول : إن حركة تحرير المرأة التي تدعيها الحضارة المادية الحديثة هي أكذوبة كبيرة اخترعها الرجل ــ الغربي ــ ليضحك على المرأة . " [٢٦]

([٢٥]) أنظر : المرأة والأسرة في الحضارة الغربية الحديثة ــ محمد عطية خميس ص١٣،٢٩ بتصرف ــ دار الاعتصام ١٩٧٩م .

([٢٦]) نقلا عن مجلة الاعتصام ــ ربيع الأول ١٣٩٥هـ ــ أبريل ١٩٧٥ م .

وعن وضع الرجل في الحضارة المادية ، وأن من أهم ملامحها أنها تقوم على الفوضى الجنسية التي لا تعرف أخلاقا ولا ضوابط ولا قيـــودا ولا طهرا ولا عفة حتى أصبح الشذوذ الجنسي بين الرجل وآخر ، والمـــرأة وأخرى ، وبين الجنسين ظاهرة عامة وعادية ، وليس هذا فحســـب بـــل ويقره قانون الحضارة المادية ، بل وللأسف الكنيسة وتباركـــه ؛ ولكـــي نعرف مدى الانحطاط الذي وصلت إليه الحضارة الغربيـــة فـــي إباحـــة الشذوذ بين أعضاء المجتمع ، يوجد في أمريكا ــ حســـب الإحصائيـــات الرسمية ــ عشرون مليونا من الأمريكيين يمارسون اللواط ، وفي إحـدى الجامعات الأمريكية وصلت نسبة اللواط فيها إلى ٨٤% أو يزيد بين عدد طلابها ، بل وتلقى المحاضرات للترويج لتفش اللواط ، وتوجـــد نقابـــات للذين يمارسون الشذوذ الجنسي ، ووصل الأمر إلى أن إحدى الكنـــائس في ولاية كاليفورنيا عقدت زيجات بين رجل ورجل ، وفي مقابل ظـــاهرة اللواط المنتشرة بين الرجال توجد ظاهرة السحاق التـــي تنتشـــر بنفـــس الدرجة بين النساء ، وأصبح ذيوع هذه الظواهر الحضارية في ظل الدول المادية معترفا بها وقانونا عاما فيها ، حتى إن الرهبان أيدوا هذه الظواهر وباركوها ما دامت قائمة على عاطفة الحب ، وكما وافقت الكنيسة علـــى عقد زيجات بين الرجل والرجل ، فقد أباحت الكنيسة في ظل الحضـــارة المادية على إباحة السحاق ، فقد تزوجت فتاتان " لونا انبلوم " ٢١ ســـنة و"أيرين لنده " ٢٣ سنة من الدانمرك ، وعقده وباركه القـــس : هـــارولد سورلي " ، وذلك في كنيسة هيليوود بالدانمرك ، وأعلنت الفتاتان أن هـذا الزواج حيوي بالنسبة لهما ، وأنه يخفف من القيود المفروضة ، إذ إنـــه يبيح الزواج على أي وجه كان بين طرفين : امرأة ورجـــل ، أو رجـــل

ورجل ، أو امرأة وأخرى ، ثم أضافتا : ونحن نعتقد أن هذا النوع من الزواج سوف يتقبله المجتمع مستقبلا "

وبذلك اندثرت رجولة الرجل في الحضارة الغربية الحديثة ، كما هانت المرأة وضاعت إنسانيتها في المجتمع الغربي الحديث . (٢٧)

وعن الزواج في ظل الحضارة المادية : ليس الزواج عقدا شرعيا نظيفا طاهرا ، وإنما هو ليس له من نصيب الزواج إلا مجرد الاسم .

وبتعبير آخر : أخذ على اسم ليس له من الطهر والنظافة نصيب ، إنه مجرد عرف اجتماعي ، فالحضارة الغربية تقوم على أساس مادي بحت ، تهدف إلى المنفعة المحسوسة الملموسة ، ولا تتقيد بدين ولا أخلاق ولا روح ولا مثل عليا ولا ترتبط بالدين ، إن ديانتها ومعابدها : المراقص والمسارح ودور السينما والبنوك ومخابير المعامل والمصانع ، وأصبح من سمات الحضارة الأوربية ما يسمى بزواج التجربة ، وكان حصيلة هذه العلاقات غير الشرعية عدد كبير من الأبناء غير الشرعيين الذين أصبحوا يشكلون خطرا جسيما في المجتمع الغربي ، ومن هذه الإحصائيات يمكننا أن نطلق على مجتمع الحضارة المادية الحديثة بأنه مجتمع " اللقطاء " أو أبناء الزنا .

ومن ملامح الحضارة المادية المعاشرة الجماعية ، أو الزواج الجماعي: وبدت الخيانة الزوجية أمرا عاديا وظاهرة طبيعية ولا التزام بالوفاء والمحافظة على العرض في حضوره وغيبته ، ويتم برضاء الزوج أو دون رضاه ، ولا يترتب عليها في ظل قانون الحضارة المادية أي عقوبة، ولا تصلح سببا دافعا للطلاق .

---

(٢٧) نقلا من المرجع السابق ص٣٥-٤١ بتصرف .

ومن العجب موقف رجال الدين النصراني : فقد كون المجلس البريطاني للكنائس لجنة لتحديد موقف الكنيسة من العلاقات الجنسية غير المشروعة، وبعد دراسة استمرت عامين أصدر المجلس المذكور في ١٨ أكتوبر ١٩٦٦م تقريرا جاء فيه : إن الزنا لا يجب أن ينظر إليه على أنه سبب تلقائي للطلاق ، ولكن كفرصة للعفو والغفران . (٢٨)

وإذا كانت الخيانة الزوجية سمة من أهم سمات الحضارة الأوربية الحديثة لا عقوبة عليها ، ولا تصلح سببا للطلاق ، فقد أدى هذا إلى ما هو أكثر انحطاطا ألا وهو مبدأ تبادل الأزواج والزوجات برضاء الزوج والزوجة معا ، حتى إن قوانين الحضارة المادية قد رفعت كل حظر من تبادل الزوجات . (٢٩)

ولا قوامة للرجل على المرأة في ظل قوانين الحضارة الغربية الحديثة : ولهذا لم يكن عجبا أن تجد دول الحضارة الغربية تقرر هذا الواقع الأليم ، وأصدرت برلماناتها قانونا يقضي بأن لا قوامة للرجل على النساء ، وقد قررت الكاتبة الإنجليزية "**ماري كوريلي**" مجلية سخف هذه القرارات ؛ لأنها لا تتفق والفطرة الإنسانية ، تقول : " من السخافة وقلة العقل أن تحاول الزوجة سلب قوامية الزوج وسلطته الطبيعية ؛ لأن المرأة منذ أن جاءت إلى هذه الدنيا أصبحت بطبيعتها تطيع زوجها وتخضع له ." (٣٠)

---

(٢٨) نقلا من : الإسلام واتجاه المرأة المعاصرة ــ د٠محمد البهي ص١٤-٢٠ .
(٢٩) المرجع السابق ص٣٢ ، وقضية الزواج والعزوبة في العالم ــ د٠علي عبد الواحد وافي ص٦٢-٦٣ .
(٣٠) نقلا من : الدين الفطري ــ مبشر الطرازي ج٢ص٢٣١ .

وهاكم ملامح أخرى للحضارة المادية :-

• المرأة في ظلها سلعة يتاجر بها من أجل المادة ، لا قيم ولا دين ، ولا أخلاق ، فقد أعلن مليونير أمريكي اسمه " وليم هنري " أمام محكمة توكسون في ولاية أريزونا أنه استعار زوجة صديق له ألماني مقابل ٣٠٠٠ ثلاثة آلاف دولار يدفعها شهريا ، اضطر المليونير أن يذكر هذه الحقيقة عندما طلبت منه الزوجة أن يتزوجها بعد طلاقها من زوجها الألماني ، قال المليونير أمام المحكمة أن العقد الذي حرره مع زوجها لم ينص على الزواج . (٣١)

وبعد هذا الخبر بثلاثة أيام نشرت وكالات الأنباء الخبر التالي : انتقلت زوجة برازيلية فاتنة من زوج إلى زوج آخر على أثر اتفاق ودي تسيطر عليه روح التفاهم ، وذلك مقابل سداد دين قدره **٢,٥ مليون** كروز بوو برازيلي (٢٥٠جنيها استرليني) كان دينا على زوج الفاتنة ، فلما يئس من سداده عرض على صاحب الدين أن يعطيه زوجته مقابل الدين ، ثم دخلا في مفاوضات أسفرت عن الاتفاق الودي . (٣٢)

وباع آخر زوجته لقاء ٢٠ ألف ليرة إيطالية ، أي ما يقرب من ١١جنيها استرلينيا . (٣٣)

وبهذه الأحداث الجماعية ــ وهي ليست فردية شاذة ــ بل هي واقع الأسر الغربية في ظل الحضارة المادية أصبحت سما وعلقما ومرا وصابا، وأصبحت البيوت ــ أو عش الزوجية ــ مجرد اسم ورمز لا حقيقة ولا واقعا له ؛ ولهذا لم يعد بد أن سقط وانهار ، وبذلك كثرت نسبة

(٣١) الأهرام القاهرية في ١٩٦٧/٢/٢٣م .
(٣٢) الأهرام القاهرية في ١٩٦٧/٢/٢٦م .
(٣٣) الأهرام القاهرية في ١٦يوليه ١٩٦٧م .

الهاربات من الأزواج ــ ذكورا وإناثا ــ إلى ثلاثة وثلاثين في المائة أو يزيد عليها ، حتى صرخت المرأة الأوربية من تفش الأوضاع الاجتماعية في بيئتها المادية.

ونشرت جريدة الأخبار القاهرية ما يلي : " مللنا الحياة الزوجية التي لا يرى فيها الزوج زوجته إلا عند النوم ، مللنا الحياة العائلية التي لا ترى فيها الأم أطفالها إلا حول مائدة الطعام ، وداعا يا عصر الحرية والمساواة، وأهلا بعصر الحريم . تقويم ٥ ,٢ مليون نسمة فرنسية بمجلة قارئ كلبير الباريسية " (٣٤)

* **وعن حقوق الآباء على الأبناء ، وحقوق الأبناء على الآباء في ظل الحضارة المادية** : فإن الحضارة المادية لا تراعي هذه الحقوق ، ولا تعرف عنها شيئا ، وانهارت فيها الأبوة والبنوة ، وأصبحت مهجورة على مر الأيام ، وفي هذا يحدثنا " **ليبولد فايس** " **في كتاب " الإسلام على مفترق الطرق** " فيقول : " إننا نجد التبدل الأساسي الذي تخضع له الحياة الاجتماعية في الغرب الآن تلك الفلسفة الأخلاقية الجديدة المبنية على الانتفاع المادي ، تبرز للعيان شيئا فشيئا ، وكل الفضائل التي تتعلق مباشرة برفاهية المجتمع المادية كالمقدرة الفنية والوطنية والشعور القومي، هي اليوم موضع للمديح ، وترفع قيمتها فوق ما هو معقول ، بينما الفضائل التي ظلت تعتبر إلى اليوم من جهة قيمتها الخلقية الخاصة كالحب الأبوي والعفاف ، تخسر من قيمتها بسرعة ؛ لأنها لا تهب المجتمع فائدة محسوسة ، إن العصر الذي كان فيه الحرص على الروابط المتينة في الأسرة من أجل سير الجماعات والعشائر قد تبدل الآن في الغرب الحديث بعصر من النظام الاجتماعي أوسع مدى ، والمجتمع الذي

(٣٤) نقلا عن جريدة الأخبار في ١٩٧٦/١٢/٢٥م .

يكون في أساسه فنيا آليا ماديا ، إذ ينظم بسرعة متزايدة على أساس آلي خالص ، لا يكون سلوك الابن فيه نحو أبيه ذا قيمة اجتماعية كبرى ما دام أمثال هؤلاء الأفراد يتعاملون في حدود اللياقة العامة التي فرضها المجتمع المادي على صلات أفراده ، وبالتالي فإن الوالد الأوربي يفقد كل يوم شيئا من سلطته على ابنه ، وكذا الابن يفقد من احترامه لأبيه ، ولقد أصبحت صلاتهما المتبادلة مغلوبة ــ أو من أجل هدف عملي ــ مقضيا عليها نتيجة لسيطرة الاعتبارات المادية على المجتمع ، والميل إلى إلغاء كل امتياز لفرد على آخر ، بما في ذلك الامتيازات الناتجة من القرابة في الأسرة،إن الصلة القديمة بين الأب وابنه تصبح مع الأيام نسيا منسيا."[٣٥]

ويقول آخر : " والظاهرة التي بدأت تقلق بال علماء الاجتماع الأمريكيين في مجال ممارسة الجنس الطبيعي بين الرجل والمرأة هي ظاهرة البغاء بين الفتيات الصغيرات طالبات المدارس الإعدادية ، فالأسرة الأمريكية تدفع أبناءها في سن الرابعة عشرة والخامسة عشرة ــ سواء بنات أم بنين ــ إلى الاكتساب والاعتماد على النفس في الإنفاق ، فلا تجد الفتيات الصغيرات أسهل من احتراف البغاء لاكتساب نفقات الحياة . [٣٦]

والحضارة الأوربية لا تعترف بقدسية البنوة ، ولا تقيم للبناء وزنا ، وماتت عاطفة الأبوة والأمومة ، فقد نشرت الصحف في أمريكا قصة ضابط بوليس في منطقة شيكاغو أراد أن يغرق ابنه ليحصل على بوليصة التأمين . [٣٧]

---

(٣٥) الإسلام على مفترق الطرق ــ محمد أسد (ليبولد فايس) ص٤٢-٤٣ .
(٣٦) مجلة الدعوة ــ العدد ٢٦ السنة ٢٧ــ مقال أ٠جابر رزق تحت عنوان : سقوط المجتمع الأمريكي
(٣٧) المرجع السابق .

ونشرت الصحف في ولاية أنديانا عن زوجين كانا لـــهما ثلاثـــة أولاد ــ كلهم دون السادسة ، كانا يعذبانهم حتى مات الأول والثاني ودفنا جثتيـــهما في حديقة المنزل ، أما الثالث فكانا يطفئان السجائر فـــي جســـمه ، ولا يعطيانه الغذاء الكافي حتى أصيب بسوء التغذية ، والسبب حـــب اللـــذة والتمتع . (٣٨)

والأمهات يبعن أولادهن ، فقد كتبت جريدة الأهرام فـــي ١٩٧٤/٥/٢٩م :

" زادت أعداد الأمهات اللاتي يعرضن أولادهن غير الشرعيين للبيع فـــي أوربا ، بعد أن وصل السعر إلى أكثر من ألف جنيه للطفل الواحد ، بـــل أكثر من ذلك ، والدان يؤثران سيارتهما على طفل جديد ...

هذه هي الحضارة الغربية وقيمها ، حضارة مادية جاهلية ، كل القيم فيـــها للأنانية والدولار وحب الذات ، ولا قيمة لإنسانية الإنسان حتى ولو كـــان ابنا .. (٣٩)

وغلبة المادية الجارفة والقيم الاقتصادية المادية على الحضارة الأوربيـــة دفعت المرأة إلى إباحة إجهاض الجنين قبل تكامل نموه خشـــية الفقـــر ، وبإجهاض المرأة للجنين تؤثر الهدف المادي وهو التخفيف من التكلفة في المعيشة على القيمة الإنسانية ، فماتت عاطفة الأمومة لدى المرأة الغربية، وأدى ذلك إلى ازدياد جرائم الأحداث لعدم استقرار الأسر وانـــهيارها ، فزادت جرائم الأحداث بنسبة ٤٥% وأكثر من ذلك في السنوات الأخيرة، فزاد عدد المنحرفين من الأحداث بقدر مليون على الأقل ، وسيرتفع إلـــى ضعفه ما لم تتخذ إجراءات حاكمة ، بلغت جرائم الأحداث حدا خطيرا من البشاعة دفعت بجماعات من الصبيان إلى تخريب كل مـــا يصادفونـــه ،

---

(٣٨) المرجع السابق .

(٣٩) ولمن يريد الاستفادة أنظر : الإسلام واتجاه المرأة المسلمة المعاصرة ــ د٠محمد البـــهي ص٢٦-٢٨ .

واقتراف جرائم النهب والغصب والقتل ، والهدف هو إشباع الرغبة الجامحة نحو الإجرام فحسب .

شاع إدمان المخدرات بين الأحداث ، والحفلات المتحررة من كل قيد خلقي ، وكثر الإجهاض بين الفتيات ، وقد عزى التقرير الأمريكي أسباب ذلك كله إلى التحلل الخلقي ، وعدم الاستقرار الأسري بين الأزواج ، فضلا عما لوحظ من استهتار الآباء بالقيم والقانون ، فلم يعد الطفل يجد البيئة الصالحة ذات العرف الاجتماعي والتقاليد الفاضلة (٤٠)

** شقاء الإنسانية في الحضارة الوضعية :-

الحضارة الوضعية سراب في مجال المرأة والأسرة ، تحرير المرأة أكذوبة ، وأعراض النساء في الأوحال ، رجولة الذكور هتكت واندثرت ، الأسرة متفككة منهارة ، الغيرة على الأعراض معدومة ، الأبناء في ضياع وشقاء ، والحياة الأسرية جحيم لا يطاق ، وكل حضارة نبتت على أسس واهية فمآلها الانهيار والضياع والزوال ، وهذه سنة الله في كونه ، ولن تجد لسنة الله تبديلا ولا تحويلا ، قال الله ﷻ ﴿ **ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم وأرسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين** ﴾ الأنعام ٦ .

ومن ثم كان حظ الإنسانية منها الهلاك والشقاء ، ولا أدل على ذلك من زوال حضارتي الغرب والرومان ــ كما جاء في شهادة دائرة المعارف الفرنسية للقرن التاسع ــ أن انهيار الحضارتين الفارسية والرومانية كان

(٤٠) الأهرام القاهرية في ١٩٥٥/٣/٢٧م نقلا من : المرأة والأسرة في الحضارة الغربية الحديثة ص٧٢-٨٢ بتصرف .

بسبب خروج المرأة إلى ميادين العمل واشتراكها في الحكم ، وهذا ما هو مشاهد الآن في الحضارة الأوربية ، إنها ستزول وتنهار بسبب المرأة ، كما زالت حضارة الفرس والرومان ــ وقرر المارشال بيتان أن سبب هزيمة فرنسا في الحرب العالمية الثانية ناجم من فقدان الوازع الأخلاقي في الحضارة المادية ، فيقول : لقد جاءت الهزيمة من الانحلال فدمرت روح الشهوات ما شيدته روح التضحيات ، وإني أدعوكم أول كل شيء إلى نهوض أخلاقي ، ولا سبيل لإنهاض فرنسا من كبوتها وإقالة عثرتها إلا صرح الأسرة من جديد ، وتقوية أواصرها ، وتقديس تقاليدها وأنظمتها . (٤١)

تزايد نسبة الانتحار المرتفعة جدا في المجتمعات المادية قد تخطت وفاقت نسبة زيادة السكان . (٤٢)

شيوع كافة الأمراض العصبية والعقلية ، وللدكتور **ألكسيس كاريل** كتابا تحت عنوان " **الإنسان ذلك المجهول** " تحدث فيه ــ وهو طبيب وعالم حصل على جائزة نوبل ١٩٢١م ــ عن مصائب الإنسانية التي تتوالى على رأسها ، ورد هذه المصائب إلى الحضارة المادية التي تقوم على دراسة الجانب المحسوس من الكون وإهمال ما لا يحس ولا يقاس ولا يوزن ، وذكر أن المعرفة الإنسانية بها خلل أدى إلى خلل الحياة الإنسانية وظهر هذا الخلل فيما تظهره الإحصائيات الأمنية وإحصائيات أجهزة الأمن من أن الأمراض العقلية والعصبية والنفسية في تزايد مستمر في أرقى المجتمعات الأوربية . (٤٣)

---

(٤١) نقلا من الزواج والمرأة ــ أحمد حسين ص٢٠ .
(٤٢) الأخبار القاهرية في ١٦ أغسطس ١٩٧٨م .
(٤٣) ومن أراد مزيدا فليرجع إلى هذا الكتاب القيم ، وانظر : الإسلام ومشكلات الفكر ــ فتحي رضوان ص١١ ــ سلسلة اقرأ .

* **التقدم المادي والانحطاط الخلقي** : أفلست الحضارة المادية ، ولم تستطع بتقدمها المادي أن تحقق السعادة والتقدم المنشودين ، وفي هذا يقول **ألكسيس كاريل** : " يجب أن يكون الإنسان مقياسا لكل شيء ، ولكن الواقع هو عكس ذلك ، فهو غريب في العالم الذي ابتدعه ، إنه لم يستطع أن ينظم دنياه بنفسه ؛ لأنه لا يملك معرفة عملية بطبيعته ، ومن ثم فإن التقدم الهائل الذي أحرزته علوم الجماد على علوم الحياة هو إحدى الكوارث التي عانت منها الإنسانية ، فالبيئة التي ولدتها عقولنا واختراعاتنا غير صالحة بالنسبة لقوامنا ولا بالنسبة لهيئتنا ، إننا قوم تعساء لأننا ننحط خلقيا وعقليا ... وإن الجماعات التي بلغت فيها الحضارة الصناعية أعظم نمو وتقدم هي على وجه الدقة الجماعات والأمم الآخذة في الضعف ، والتي ستكون عودتها إلى البربرية والهمجية أسرع من عودة غيرها إليها .

ثم قال أيضا : إن العلم الخالص لا يجلب لنا مطلقا ضررا مباشرا ، ولكن حينما يسيطر جماله الطاغي على عقولنا ويستبعد أفكارنا في مملكة الجماد فإنه يصبح خطرا ، ومن ثم يجب أن يحول الإنسان اهتمامه إلى نفسه وإلى السبب في عجزه الخلقي والعقلي ، وليس هناك أي ظل من الشك في أن علوم الميكانيكا والطبيعة والكيمياء عاجزة عن إعطاءنا الذكاء والنظام الخلقي والصحة والتوازن العصبي والأمن والسلام . (٤٤)

إنها صيحة مدوية تكشف النقاب عن طبيعة الحضارة الغربية ، وشهادة ضدها رغم التقدم المادي لقتلها أهم خصائص الإنسان ، والكتاب بأسره

---

(٤٤) الإنسان ذلك المجهول ـ ألكسيس كاريل ص٤٤ بتصرف ـ ترجمة شفيق أسعد فريد ـ مكتبة المعارف بيروت .

صيحات تندد بالأخطار التي تهدد الجنس البشري من جراء الاعتداء على القوانين الطبيعية التي لا تدع المعتدين عليها بلا عقوبة ، وأعلن جهل العلم المادي بحقيقة الإنسان بأبسط وحقائق تكوينه الجسدي ذاته ، إنه يقول أيضا : " لابد من ضرورة إحداث تغييرات عقلية وسياسية واجتماعية بل أيضا ضرورة قلب الحضارة الصناعية وظهور فكرة أخرى للتقدم البشري . (٤٥)

إن الحضارة العصرية تجد نفسها في موقف صعب ؛ لأنها لا تلائمنا فقد أنشئت دون أية معرفة بطبيعة حقيقتنا ؛ إذ أنها تولدت من خيالات الاكتشافات العلمية وشهوات الناس وأوهامهم ونظرياتهم ورغباتهم ، وعلى الرغم من أنها أنشئت بمجهوداتنا إلا أنها غير صالحة بالنسبة لحجمنا وشكلنا . (٤٦)

إن القلق والهموم التي يعاني منها سكان المدن العصرية ــ المادية ــ تتولد من نظمهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية . (٤٧)

إننا لن نصيب أي فائدة من زيادة عدد الاختراعات الميكانيكية ، وقد يكون من الأجدى أن لا نضفي مثل هذا القدر الكبير من الأهمية على اكتشافات الطبيعة والفلك والكيمياء ، فحقيقة الأمر أن العلم الخالص لا يجلب لنا مطلقا ضررا مباشرا ، ولكن حينما يسيطر جماله الطاغي على عقولنا ، ويستعبد أفكارنا في مملكة الجماد فإنه يصبح خطرا ، ومن ثم يجب أن يحول الإنسان اهتمامه إلى نفسه وإلى السبب في عجزه الخلقي والعقلي ، إذ ما جدوى زيادة الراحة والفخامة والجمال والمنظر وأسباب تعقيد حضارتنا إذا كان ضعفنا يمنعنا من الاستعانة بها فيما يعود علينا بالنفع ؟!

---

(٤٥) المرجع السابق ص١١-١٢ .
(٤٦) المرجع السابق ص٣٨ .
(٤٧) المرجع السابق ص٤٤ .

حقا إنه لمما لا يستحق أي عناء أن نمضي في تجميل طريق حياة تعود علينا بالانحطاط الخلقي ، وتؤدي إلى اختفاء أنبل عناصر الأجناس الطيبة". (٤٨)

لقد وصفنا كيف تؤثر عادات المجتمع العصري المادي في حس الإنسان الأوربي وشعوره وأنه لا يستطيع تكييف نفسه بالبيئة التي خلقتها التكنولوجيا ، وأن مثل هذه البيئة تؤدي إلى انحلاله ، وأن العلم والميكانيكا ليسا مسئولين عن حالته الراهنة ، وإنما نحن المسئولون لأننا لن نستطع التمييز بين الممنوع والمشروع ، لقد نقضنا قوانين الطبيعة ، فارتكبنا بذلك الخطيئة العظمى ، الخطيئة التي يعاقب مرتكبها دائما ... إن مبادئ الدين العلمي والآداب الصناعية قد سقطت تحت وطأة غزو الحقيقة البيولوجية ، فالحياة لا تعطي إلا إجابة واحدة ، حينما نستأذن في السماح بارتياد الأرض المحرمة ، إنها تضعف السائل ؛ ولهذا فإن الحضارة أخذة في الانهيار ؛ لأن علوم الجماد قادتنا إلى بلاد ليست لنا ، فقبلنا هداياها جميعا بلا تمييز ولا تبصر ، ولقد أصبح الفرد ضيقا متخصصا فاجرا ، غبيا غير قادر على التحكم في نفسه ومؤسساته .(٤٩)

وإذا كنا قد أبرزنا فشل الحضارة المادية في بناء هيكل المجتمع ــ كنموذج مفصل ــ عن واقع الحياة الحضارية في ظل القوانين المادية ، فإننا سنورد أيضا شهادة كاريل على انهيار الحضارة المادية في كافة مناحي الحياة ، مكتفين بها وكفى بهم شهداء على أنفسهم ، وهي شهادة صريحة ضد الحضارة الوضعية ، وإن الإنسانية ما أثمرت منها سوى

(٤٨) المرجع السابق ص٦٠ .
(٤٩) المرجع السابق ص٣٢٢ .

الهلاك والشقاء ، وأن على الإنسانية أن تولي وجهها شطر الحضارة الإسلامية ، فهي وحدها ــ دون غيرها من سائر الحضارات البشرية ــ الكفيلة بتحقيق السعادة للإنسانية في العاجل والآجل .

إنه يقول : فإذا كان على الحضارة العلمية المادية أن تتخلى عن الطريق الذي سارت فيه منذ عصر النهضة ، وتعود إلى ملاحظة المادة الجامدة ببساطة ، فسوف تقع أحداث عجيبة على الفور ، ستفقد المادة سيادتها ويصبح النشاط العقلي كالنشاط الفسيولوجي ، وسيبدو ألا مفر من دراسة الوظائف الأدبية و الجمالية والدينية كدراسة الرياضيات والطبيعة والكيمياء ، وسوف تبدو وسائل التعليم الحالية سخيفة ، وتضطر المدارس والجامعات إلى تعديل برامجها ، وسيسأل علماء الصحة عن السبب الذي يحدوهم إلى الاهتمام فقط بمنع الأمراض العضوية دون الأمراض العقلية والاضطرابات العصبية ، كما سيسألون عما يجعلهم لا يبذلون اهتماما بالصحة الروحية ، ولماذا يعزلون المرضى بالأمراض المعدية ولا يعزلون أولئك الذين ينشرون الأمراض العقلية والأدبية ؟ ولماذا يعتبرون العادات المسئولة عن الأمراض العضوية عادات ضارة دون العادات التي تؤدي إلى الفساد والإجرام والجنون ؟ ولسوف يدرك الاقتصاديون أن بني الإنسان يفكرون ويشعرون ويتألمون ، ومن ثم يجب أن نقدم لهم أشياء أخرى غير العمل والطعام والفراغ ، وأن لهم احتياجات روحية مثل الاحتياجات الفسيولوجية ، كما سيدركون أيضا أن أسباب الأزمات الاقتصادية والمالية قد تكون أسبابا أدبية وعقلية ودينية ، وسوف لا نضطر إلى قبول أحوال البربرية في المدن الكبرى ، وطغيان المصنع والمكتب ، وتضحية الكبرياء الأدبية فقي سبيل المصلحة الاقتصادية ، أو تضحية العقل للمال ، ويجب أيضا أن ننبذ الاختراعات الميكانيكية التي